



HAL
open science



Abdelkader Chouach, Ahmed Bousmaha

► **To cite this version:**

Abdelkader Chouach, Ahmed Bousmaha. ☒. Les mutations de la ville saharienne – Approches croisées sur le changement social et les pratiques urbaines, Faculté des Sciences Sociales et Humaines-Université Kasdi Merbah, Ouargla., Mar 2015, Ouargla, Algeria. <halshs-01236514>

HAL Id: halshs-01236514

<https://shs.hal.science/halshs-01236514>

Submitted on 10 Dec 2015

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire HAL, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

المخالفات العمرانية والتحولت الاجتماعية أية علاقة؟

حالة قصر ورقلة العتيق.

شواش عبد القادر، بوسماحة احمد
مخبر المصادر الطبيعية وتهيئة الفضاءات
الحساسة، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.
الجزائر.

مقدمة:

للعمران في الصحراء جذور تاريخية عميقة، مظاهر الحضارية والتمدن كانت مألوفة في القصور والمدن التاريخية منذ مئات السنين وازدهرت كمحطات للقوافل التجارية التي كان مسرحها الفسيح بين ضفتي (بحر الصحراء) منذ 10 قرون بذلك امتلكت ذاكرة حضرية غنية وجذور أصيلة في خلال ما يعرف بالقصور (حضرية أو قروية)¹.
البيئات التراثية بما تحويه من مخزون ثري وثروة مستدامة العطاء ماديا ومعنويا ، تساهم في ترسيخ الهوية الوطنية وحفظها للأجيال القادمة لمواجهة الانفصال كما أنها ممكنة للتواصل بين الأجيال ، و التي تمثل احد الثوابت المميزة لحضارتنا ، الى جانب إمكانية إسهامها في الارتقاء بمستوى الاقتصاد الحضري من خلال تمشين التراث و تفعيله في مجال السياحة الثقافية التراثية ، و التي يمكن رصد تأثيراتها في الأفق لتتبع إيرادات التنمية المحلية الذاتية ، فهذه القيم المضافة يمكن تحصيلها انطلاقا من الفهم الجيد للديناميكية العمرانية المتسارعة بالمدن الصحراوية اليوم و التي تفوقت حتى على مدن الشمال الجزائري² فهذه الديناميكية مردها إلى الشغل و الأمن و الاجتذاب التجاري لسكانه الشمال إلى جانب اتجاه الفاعلين في تهيئة الإقليم الى تعمير الجنوب قصد تحقيق توازنات إقليمية في التوزيع السكاني ، هذه الحركية أدت إلى تجلي ثنائية في المشهد الحضري قصر ومدينة تقليدية في الاتجاه إلى التحول و التدهور تدريجيا أما تدخلات نقطية لم يكن بإمكانها احتواء تداعيات التغيرات و تعمير متسارع مخطط و غير مهيكلمنافس للعمارة التقليدية و مؤثرا على الهوية المعمارية و الخصوصيات الاجتماعية الاقتصادية لسكانه الجنوب ، فهذا ما يدفعنا إلى ترشيد التعامل و الإدارة الجيدة مع هذه البيئات التراثية حتى يمكن لها ان تستدام من خلال مشاريع تعتمد معايير خاصة في مجال الحماية ، و الأخذ بمفاهيم و تقنيات متطورة معتمدة في الحفاظ على المباني التاريخية و حماية المواقع التراثية .

1 -لمحة تاريخية عن قصر ورقلة:

يعتبر قصر ورقلة أحد القصور الصحراوية التراثية الضاربة في التاريخ وقد تزامن ظهوره مع عدة قصور على غرار : (قصور بني عباس بولاية بشار و قصر قمار بولاية الوادي و قصر تميمون بولاية أدرار، وقصور غدامس بالتراب الليبي...)، كما يرجع بعض المؤرخين نشأته إلى الفترة النوميدية ما بين القرن 7 و 10 قبل الميلاد ، كما توجد مراجع ترجع نشأته إلى القرون الوسطى الإسلامية، كما دلت الدراسات على وجود علاقات و روابط وثيقة في التعامل مع الفينيقيين والقرطاجيين ، وهو ما تشير إليه بعض الآثار التي تمثل رمز الآلهة تانيت آلهة القرطاجيين في أعلى المداخل و في بعض البيوت بالقصر وقد أطلق عليه عدة تسميات منها

¹ - خليفة عبد القادر . مدن الصحراء الجزائرية في تحولات. قصور الأمس مدن اليوم. ورقة بحثية مقدمة في الملئقى الدولي: التفكير

في المدنية مقاربات مختلفة. قسم علم الاجتماع جامعة خنشلة 2008. ص: 1

² - Marc Cote. Dynamique Urbaine au Sahara. Insaniyat (Revue algérienne d'anthropologie et science sociale) N⁰ 05 Mai – Aout 1998. Page : 89

(واحة السلاطين) أو (سلطنة الواحات) كما وصفها ابن خلدون ببوابة الصحراء مشيرا إلى أن أصل التسمية يعود إلى قبائل بن واركلا أو أوقلان أو ورجلان الزناتية البربرية الذين قدموا إلى المنطقة³.

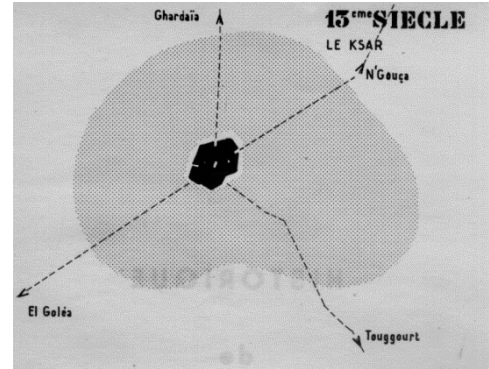
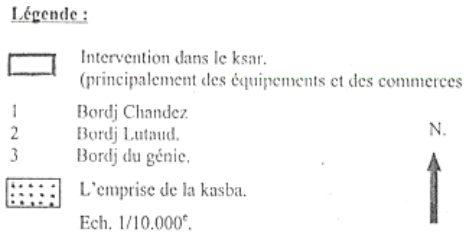


Figure 7 – Intervention par superposition.
Source - Auteur

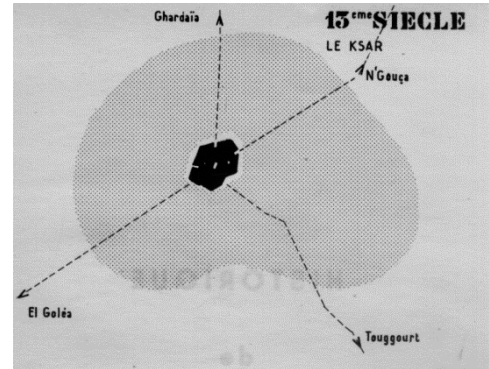
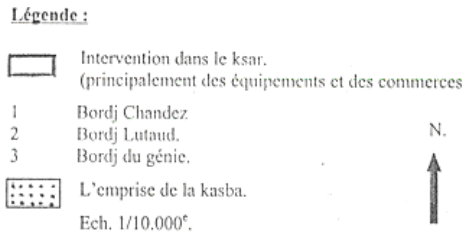
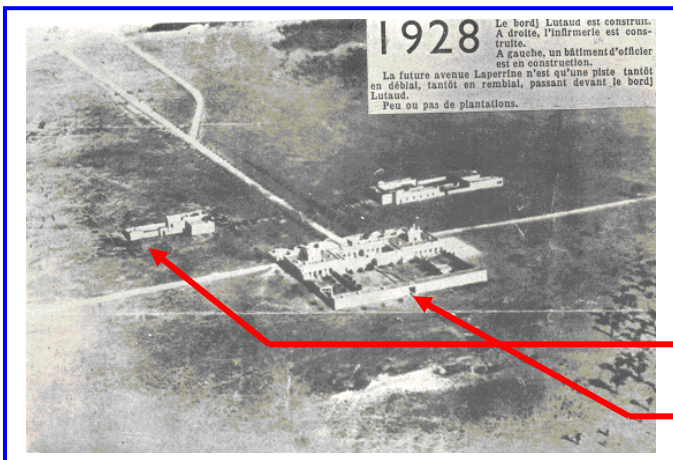


Figure 7 – Intervention par superposition.
Source - Auteur



عمرانية الحديثة على النسيج القديم. حاله فصر ورقله العتيق.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة مهندس دولة في التسيير والتقنيات الحضرية. جامعة ام البواقي. الجزائر. 2011.

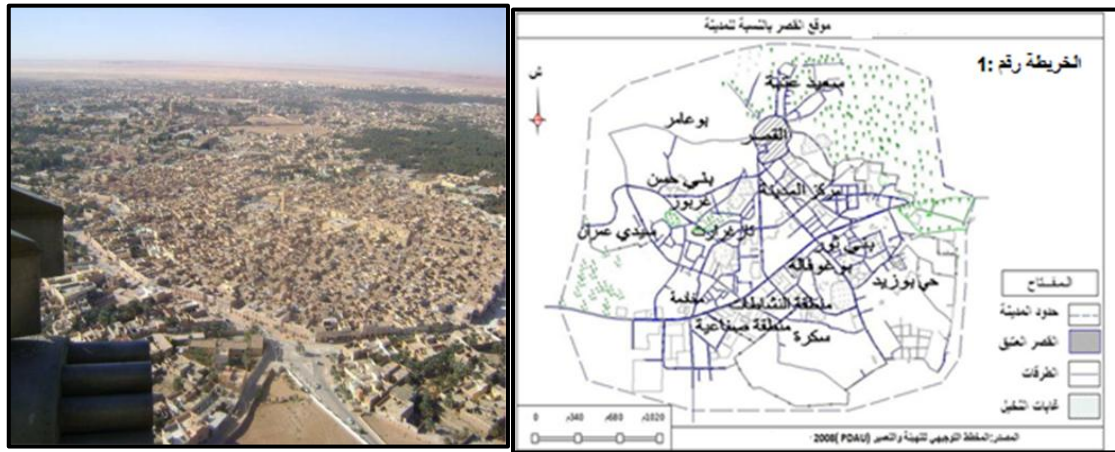
المخطط رقم 1: نشأة القصر كنواة للمدينة التقليدية ومركز المدينة الكولونيالية كعمران حديث

تطور المدينة كان من خلال وظيفية و استقطاب السوق للتجمعات المجاورة و للتجارة التي كانت تتم مع القبائل مما سمح بوجود رواج كبير ،لكن بعد مجيء الإدارة الاستعماري حدث الركود و تغيرت وظيفة المدينة إلى مركز إداري⁴ في 1854 توغل المستعمر الفرنسي إلى وادي ريغ ليتم احتلال ورقلة في 1872 أهمية المجال وجهت الإدارة الاستعمارية إلى إنشاء مدينة جديدة موازية للقصر ابتداء من 1928 كما هو مبين أعلاه فكانت نقطة تحول هامة من خلال تجلي عمران موازي ودخيل رقي من التحولات العمرانية بالجهة، بعد الاستقلال وبالضبط بعد اكتشاف البترول 1956 زادت أهمية المنطقة فتم إنشاء المنطقة الصناعية فتسارعت حركة التعمير منتشرة في أنماطها المخططة والعشوائية مما عرض العمران التقليدي الأصيل إلى نزيه وتهميش من طرف الفاعلين والساكنة.

في أغلب الأحيان حاليا تأخذ المورفولوجية المجالية للمدينة الصحراوية شكل انضمام لعدة أنسجة تتماثل مع أربع فترات للتعمير:

- 1 - القصر أو المدينة التقليدية التاريخية والتي تؤلف نواة المدينة
 - 2 - المدينة أو الإضافات الكولونيالية حول المدينة القديمة أو عند أطرافها.
 - 3 - الأحياء العشوائية التي ميزت الفترة الأولى من الاستقلال
 - 4-أحياء التعمير المبرمجة في إطار البرامج السكنية المختلفة من سكن فردي، ذاتي، جماعي⁵....
- يحتوي القصر على سبعة أبواب هي:

باب عزي، باب عمار (لآلة منصور)، بني إبراهيم، باب السلطان (بوسحاق)، باب أحمد بن بني سيسين، باب البستان، باب رابعة، باب الربيع بن بني وقين. كما تم تصنيفه كمعلم وطني بناء على القرار المؤرخ 1999/11/03 وكقطاع محفظ في جلسة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية بتاريخ 2008/12/17 وهذا طبقا للمادة 43 من القانون 04/98 المؤرخ في 1998/06/15 المتعلق بحماية التراث الثقافي.



2-التغير الاجتماعي ومفارقة الأصالة والمعاصرة:

الثابت تاريخيا أن الإدارة الاستعمارية استهدفت المجتمعات المحلية من كل الجوانب لاحتوائها حتى يحصل لها تمكين في استغلال الثروات من جهة وطمس الهوية و الانتماء الثقافي و الحضاري من جهة أخرى، فالمحاولات المبكرة التي قامت بها تمثلت في إنشاء

⁴- Yaël KOUZMINE. **Dynamique Et Mutation Territoriales Du Sahara Algérien Vers De Nouvelles Approches Fondées Sur L'observation**. Thèse de Doctorat en Géographie. UNIVERSITÉ DE FRANCHE-COMTÉ. 2007p :183

⁵- خليفة عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 7

مدينة جديدة متميزة بمعالَم دخيلة عن العمران المحلي و خصوصيات البيئة الحضرية فكانت التجهيزات و الخدمات ككاشف عن الفروق المدنية الحضرية بين المجتمعين ، المبادرة استعملت كتمهيد لاستلاب المجتمع تدريجيا من خلال تحويله على القيم و العادات المحلية بهدف تطويره وعصرنة حياته حسب المقاربة الاستعمارية و الاستدمارية، تطمح إلى تحقيق نتائج خفية و التي كانت تدخل ضمن محاولات التطور الاجتماعي للمجتمعات المحلية ، رغم التمسك بالثوابت المحلية إلا أن التمهيد لتحويل تلك المجتمعات و غيرها ظل قائما يستدعي فقط التحفيز و التفعيل و هو ما تم في المراحل الأولى من الاستقلال الوطني، على أساس أن التغيير الاجتماعي ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية و لأنه وسيلة لبقائها ونموها، كما يعد جزء من التغيير الحضاري الشامل⁶، وهو ما يدفعنا إلى التسليم بحتمية التغيير و التحول الاجتماعي بحكم الخلفيات السابقة و ضرورات المرحلة التنموية التي كانت تستهدف الارتقاء بإطار الحياة للسكان و تحديث الحياة بوجه عام لمواجهة التركة الاستعمارية (التدهور ، التخلف ، الفقر ، الفوارق الاجتماعية ...) وهو ما يمكننا ان بداية التحول و التغيير الاجتماعي كانت نتاج خلفية استعمارية بحثه لتظهر و تتطور تدريجيا في إطار الزمان و المكان مستقلة في مرحلة التدهور البيئي و تصاعد الهجرة نحو الجنوب و المجالات الآمنة .

عليه فان التغيير الاجتماعي حقيقة متأصلة في طبيعة المجتمعات، إذ يتناول الجيل اللاحق " الجوانب الثقافية والتراث الاجتماعي " من الجيل السابق ويضيف إليها تارة و يعدلها تارة أخرى بحيث ينتهي تعاقب الأجيال إلى تغيير المجتمع الإنساني في الكثير من الخصائص متشبا مع الواقع الاجتماعي، فظاهرة التعايش تشمل كل مرافق الحياة، فنحن نعيش في عالم مفتوح متغير غير ثابت من جميع النواحي⁷ .

اجتمعت عوامل عديدة جعلت من الأنسجة القديمة في مدن الصحراء محل تحول وتغيير دائم ، إذ حفزت عمليات التدهور العمراني للقصر و سمحت بتلاشي المعالم المعمارية تدريجيا مما يصعب من عمليات الاسترجاع و التي تكون مكلفة من كل الجوانب ، عمليات التحول التي كانت مقصودة من طرف الفاعلين المحليين والمتمثلة في إدخال الخدمات و التجهيزات إلى ساكنة القصر أحدثت تشوهات و تغييرات نالت من أصالة العمران ، مما جعل هذه الأخيرة محل مساومة و استخفاف أمام تيارات التجديد و التحديث التي كانت تعمل على تغيير نمط الحياة في البيئات الحضرية العتيقة ، لان المعاصرة رافقها التحول والتطور الاجتماعي أفضت إلى نتائج غير محمودة جعلت البيئات التراثية في أزمة حقيقية نتاجها تنجيه إلى التعقيد أكثر في المستقبل إن لم تحين مشاريع لإنقاذ من خلال الاعتماد على العمران التشاركي و الذي يذكي المشاركة و الشراكة و التشاور ... وهو ما من شأنه أن يحافظ على مقاربة الأصالة و المعاصرة في خضم التغيير الاجتماعي و التمثلات المجتمعية لمدن الجنوب .

3-الديناميكية الحضرية والتغيير الاجتماعي

الصحراء الجزائرية اليوم حضرية بالدرجة الأولى، إذ لم تعد تلك الواحة كما كانت عليه منذ ماض قريب، حقيقتها وواقعها العمراني و الاجتماعي يؤدي بنا إلى الوقوف على كم معتبر من التحولات الاجتماعية العميقة و المتسارعة، فالواقع يثبت أن 80% من سكان الصحراء باتو حضريين، وجعلت مدن الجنوب يعرفون ديناميكية عمرانية فاقت مدن الشمال الجزائري⁸ ، مدينة ورقلة هي الأخرى تدخل في هذا المساق فلقد عرفت ديناميكية عمرانية متسارعة و غير منتظرة ، تعود إلى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية للسكان بعد التحسن الاقتصادي و الاجتماعي الذي عرفته المدينة إلى جانب حركة التعمير و المشاريع السكنية خاصة قبل و أثناء التدهور الأمني بالجزائر وتزايد التدفقات السكانية من المناطق الداخلية والمدن الساحلية المتضررة من التدهور الأمني وهو ما ساهم و تفعيل و تآثر التغيير الاجتماعي و تراجع القيم المعمارية للقصر إذ أصبح غير أهل لسكانته الأصلية و هو الأمر الذي رفع من مظاهر التغيير الاجتماعي و العمراني ، إذ أصبحت البيئة الحضرية غير متجانسة بشريا وغير ملتزمة ثقافيا من خلال تعدد الأنساق الاجتماعية التي تعود إلى التنوع الثقافي الذي أصبح يميز القصر والذي سمح ببداية تلاشي الوحدة الاجتماعية فتتوعدت الممارسات

⁶ - محمد عاطف غيث، النظام والتغيير والمشاكل، الجزء الثاني، دار الم عارف الإسكندرية، ص: 191

⁷ - إحسان محمد الحسن، قاموس علم الاجتماع، دار الطليعة بيروت، 1981 ص: 190

⁸ - MARC. Cote .Dynamique urbaine au Sahara .Revue Algérienne d'anthropologie est science sociale .N⁰ 05 Mai – Aout 1998 page :89

الحضرية على السكن و الفضاءات و حتى انساق الحياة الاجتماعية أصبحت تشهد التنوع في بيئة ظلت و لفترة طويلة من الزمن محافظة تطبعها الحيوية والوفاق الاجتماعي الثقافي .

التوسع العمراني لمدن الصحراء الجزائرية بعد الاستقلال والذي أثمر مدنا " حديثة " هذا التوسع يتوافق تماما مع التوزيع المجالي الاجتماعي للمجموعات الاجتماعية التي شكلت سكان المدن هذه التوطنات قد صاحبت الواحة منذ إنشائها لكنها وعبر تاريخها الطويل كانت مؤقتة وموسمية تبعا لنمط معيشة البدو وأشباه البدو في دورة حياتهم السنوية، حتى التثبيت النهائي للبدو في حدود نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، تحت تأثير العهد الكولونيالي وانتهاء بأحياء التوسعات الجديدة⁹، في حدود هذا المسار الزمني تمثلت تحولات و تغيرات شملت الجانب الاجتماعي و الاقتصادي و العمراني من خلال ان القصور اليوم أضحت تعرف تدهورا كبيرا و تحولا عميقا ينذر بمخاوف على أكثر من صعيد، نلاحظ ان معظم السكان استفادوا من سكنات جديدة في أحياء مختلفة و العائلات المستفيدة لم تتحول بأكملها محافظة على سكناتها القديمة إلى جزء من الأسرة أو قامت بكرائها في طور التمدن أو القادمين الجدد من التل أو من الأوراس، التطور العمراني في الصحراء فرض على السكان استراتيجيات سكنية جديدة شجعت السياسة العمومية وساهم في بناء هويات اجتماعية جديدة¹⁰.

تشكل الهويات الجديدة في المسار الحضاري الاجتماعي لا يمثل سوى حتمية يجب التسليم على أساس أن التحول حتى وان كان عن إكراه من خلال نتائج السلبية يجب أن يوجه ويقيم لتهديب نتائجه وتقادي سلبياته لاحقا، يتم هذا من خلال الدراسات الاستشرافية للاجتماعيين والعمرانيين وكل إشراك كل الفاعلين والعارفين لتأصيل المجتمع والحفاظ على كل مكوناته من عمران واقتصاد و هوية وفق الخصوصية المحلية والحضرية.

4-التحولات الاجتماعية والمخالفات العمرانية

الاكتشافات المتعلقة بالطاقة و الموارد كانت لها المرجعية في نوعية الحراك و التحولات إذ فرضت نوعا من الخصوصية في البنية التحتية لتلك المناطق مما جعلها قطبا لجلب السكان ومناطق مشجعة على الاستقرار و ممارسة الأنشطة الاقتصادية¹¹، مما جعل القصور تعرف تحولات عمرانية عديدة بعضها عميقة أي تمس بمبادئ وأسس الحفاظ على الأنسجة العتيقة وأصالتها وأخرى سطحية لم تتدخل على المواضيع الحساسة والفاعلة في تكوينه وإنما جاءت لتحسين أداء الوظائف وتقوية أدوارها، بداية التحولات تعود إلى الفترة الاستعمارية و بالضبط بين (1887 - 1927) بعد إنشاء ثلاثة أبراج للحماية فكانت على حساب بنايات القصر إلى جانب إنشاء صيدلية و مجلس قضائي بالقصر فكانت كتحفيز لضرب الهوية الحضارية التراثية للمنطقة¹².

هذه التحولات كانت إما بتدخل من السلطات المحلية أو من طرف السكان، وقع تنافر واختلاف شديد بين الفاعلين (الوصاية والسكان) في عملية التدخل أين حاولت السلطات أن توازن بين المحافظة على النسيج العمراني التقليدي للقصر وتطوير الوظائف المقدمة حسب احتياجات السكان الجديدة، أما عن تدخلات السكان فكانت معظمها حسب احتياجاتهم الخاصة فقط دون مراعاة جانب الحفاظ على التراث العمراني والمعماري للقصر، فكانت تدخلات عنيفة أهدرت بالقيم العمرانية و التراثية يمكن تصنيفها ضمن المخالفات العمرانية من خلال إحداث تغير أو تحول في العناصر الإنشائية للسكن ، و في مجموعها كانت عبارة عن ردود أفعال طوعية بدعوى الملكية الخاصة للسكن و حتى الفضاء أو المجال المجاور كالفضاءات العمومية التي تم التعدي عليها و استغلالها

⁹ - عبد القادر خليفة، الحضرية في مدن الصحراء الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثامن جوان 2012 ص2

¹⁰ - يوسف قدوري و أسيا خرش، انعكاسات انتقال الأسرة الصحراوية من الأسرة الموسعة إلى الأسرة الزوجية على الصحة النفسية للأفراد . مجلة الواحات للبحوث والدراسات . العدد : 15 . 2011 . ص : 302-303

¹¹ - BISSON. J / BISSON.V : **Rôle et évolution des capitales de région dans le fonctionnement de l'espace au Sahara**, revue Méditerranée, tome 99 n° 3.4, (2002).

¹² - Yaël KOUZMINE. Op cité p : 189

لأغراض شخصية وما يمكن تمييزه ان بعض الحالات و التي تعد قليلة متمسكة بالقيم التاريخية والمبادئ التقليدية المحافظة على الأصالة و التناسق والانسجام العمراني.

وشهدت كل من الأحياء الثلاثة للقصر تحولات عمرانية ومعمارية حديثة النشأة وهذا ناتج عن تطور احتياجات قاطنيه من جهة و ارتفاع الزيادة المعتمدة للسكان المحلية (الكثافة السكانية) و التي من الواجب التفكير فيها وإيجاد حلول لها خارج المحيط التراثي للقصر حتى يتمكن الفاعلين من التدخل لإنقاذ المساكن و الفضاءات المتدهورة و حفظ الأخرى التي طالها التغيير و التحول ، هذا إلى جانب الوافدين من المدينة وخارجها في الآونة الأخير (العشريتين الأخيرتين) و الذين شكلوا تقلا و إكراها في تأهيل القصر و حراكه باتزان ، لذا فهو يصنف من أكبر القصور الصحراوية المأهولة بالسكان التي تعرف مشهدا حيا للصراع بين التثبيت بالأصالة والتطلع للمعاصرة، أين مست هذه التحولات بعض أسس ومبادئ العمران التقليدي التي أنشأ عليها القصر وهذا بمختلف أنواع التدخلات التي تسعى جمعية المحافظة على القصر وباقي الفاعلين على استرجاع القيم العمرانية للقصر باعتباره مرجعا للهوية الحضارية للمنطقة .

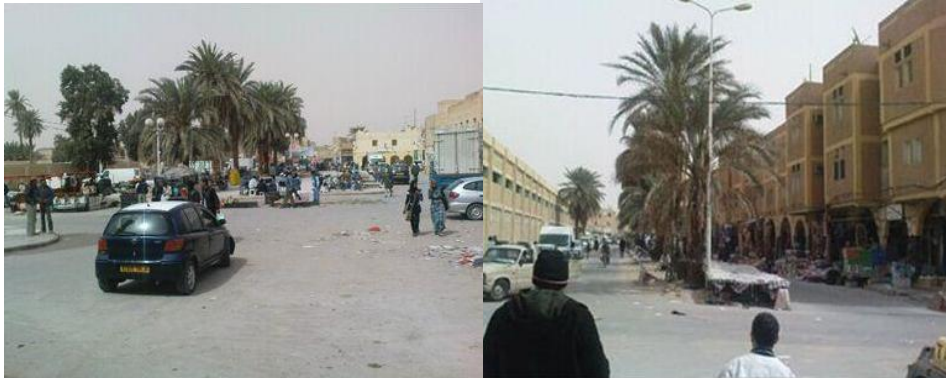
5- التحولات والمخالفات العمرانية العامة في القصر

شملت تدخلات عمومية وخاصة ساهمت في التحول العمراني من بينها¹³:

5-1 إعادة الهيكلة و رد الاعتبار

من بين التحولات و التغييرات التي مست القصر عمليات إعادة الهيكلة لطرق القصر لتسهيل الوصولية إلى المركز المتمثل في السوق (حي بني سيسين الذي يحتل الجزء الجنوبي من القصر وحي بني وقين الذي يحتل الجزء الشمالي الشرقي وحي بني إبراهيم) مست العملية المساكن المتدهورة و الهشة مما أحدثت تغييرات جوهرية لها أثرها على بنية و هيكل القصر، الطريق الميكانيكي الذي تم شقه اخل بخصوصية المجال فمن جهة يتم العمل على الارتفاع بإطار الحياة للسكان لكن على حساب التراث العمراني للقصر .

كما تم توسيع الطريق المؤدية إلى الساحة المركزية بالقصر (ساحة الشهداء) حيث تشكل المدخل الرئيسي والفعال الرابط بين القصر والمدينة، وذلك بتوسيع الالتقاء وإدراج الحلقة المرورية ، كما توضحه الصور أدناه :



الصورة : 1 و 2 النقاط المفصلية و الحساسية في القصر العتيق بعد عملية الهيكلة

لإيصال الخدمات الضرورية للسكان بالقصر تمت مشاريع تنموية في إطار التنمية المحلية فتم تجهيز بمختلف الشبكات القاعدية والتغطية قدرت بـ: 96% بالنسبة لشبكة المياه الصالحة للشرب ، و نسبة 94% بالنسبة للكهرباء، إلى جانب التغطية بشبكة الغاز الطبيعي ، حيث وصلت نسبة التغطية بالنسبة لشبكة الصرف الصحي إلى 88% والحد من الصرف التقليدي، الشبكات عملت على تعصير نمط الحياة بالقصر وهو ما عمل على اختفاء الأطار التقليدي مما جعل التحولات العمرانية تواكب عمليات التغيير الاجتماعي

¹³- بن عبد القادر خالد، وذان عبد الباري. مرجع سبق ذكره . ص : 189

من ان التدخلات كانت كاستجابة لمستوى الطلب الاجتماعي المتطلع الى حياة ارقى و احدث في خضم سيرورة التغير الاجتماعي الذي تعرفه المجتمعات في عصر العولمة .

نتيجة المصاعب المطروحة في مجال الحركة والتنقل بين احياء القصر والى الخارج كون العمارة التقليدية تمتاز بضيق الشوارع والتوائها اذ تعيق عمليات الإنقاذ من الحرائق، او الإسعاف في حالة المخاطر، للعرض نفسه أقدم الفاعلون على تخصيص عمليات لرد الاعتبار الى شبكة الطرق والدروب وهو الذي سمح بتوسيع الشوارع خاصة بعد مد شبكة الغاز، وانشاء الأرصفة وتبليطها الى جانب انشاء بعض المساحات الخضراء وفق ما جاء به مخطط استخدام الأرض رقم: 1 في 2008.



الصورة رقم: 3 و 4 تهيئة الشوارع والدروب داخل القصر

2-5 عمليات التحسين الحضري:

كانت من بين عمليات التدخل الهامة التي سمحت باسترجاع القيم التراثية من خلال تحسين الواجهات العمرانية بمواد محلية ووفق أساسيات إنشاء المعماري للمدينة العربية الإسلامية، العمليات كانت على امتداد واجهات حضرية استعادت جاذبيتها (مدخل السوق ،والشارع الخارجي المحيط بالقصر والطريق الرابط بينه وبين المدينة ، بعض الشوارع ذات الحركة التجارية).



الصورة رقم: 5 و 6 تحسين الواجهات الحضرية

3-5 الترميم والتكثيف الحضريين

يعد كعملية تحسين وتحويل المباني القديمة إلى الأفضل مع الحفاظ على النسق القديم وتطويره وذلك باستعمال مواد البناء المحلية ومواد البناء الحديثة ودمج هذه المواد مع بعضها واستعمال طرق بناء محلية للحفاظ على الصورة القديمة بصيغة جديدة حيث اهتمت السلطات المحلية بهذه العملية لحماية الإرث العمراني خاصة المعالم التاريخية القديمة مثل المساجد العتيقة والزوايا.



الصورة رقم: 7 نموذج من المباني المرممة الصورة رقم 8 تفاصيل الواجهات المعمارية

رغم تشبع العقار الحضري (المبني) بالقصر إلا أن الفاعلين رفعوا من كثافة الاستخدام وهذا لضمان استغلال كل الجيوب الفارغة، وتوجد تلك في إيدراج بعض التجهيزات والمرافق في الأجزاء الغير وظيفية كالصندوق الوطني للتوفير والاحتياط وكذا بعض المحلات التجارية في بعض الأملاك التابعة للبلدية.



الصورة 9 و10 نموذج عن التكتيف بالقصر، الخدمات والتجهيزات

6-التحول في استعمال التقنيات ومواد البناء

تم إدماج إدخال تصاميم دخيلة على العمارة الإسلامية الصحراوية العتيقة إلى جانب ظهور مقاييس عمرانية وفق مخططات معمارية قريبة إلى السكن الحديث وبعيدة إلى حد بعيد على خصوصيات العمارة التقليدية، من الأساسيات إلى الجدران الحاملة والأسقف والمباني المترصة، وهو ما سمح كذلك بانتشار نمط الفيلات والمسكن الحديثة بمواد بناء غير محلية كما هو موضح أدناه



الصورة رقم 11 و12 سيادة نمط بناء الفيلات بمواد بناء حديثة بالقصر العتيق

عملية التغير الاجتماعي شكلت دافعية للمخالفات العمرانية التي كانت طوعية من مختلف الفاعلين فأحدثت اختلال في وظيفية المجال وجعلت العمران التقليدي في أزمة من حيث المحافظة على الهوية أو استمرار الوظيفة.

7-إمكانات الحفاظ العمراني وتأهيل العمران التقليدي

متى عرفت أسباب التلف يصبح بالإمكان إيجاد الوسائل الكفيلة بترميم الموقع و حمايته ، حيث ان مجرد ترميم الأجزاء التالفة مهما يكن واسعاً و متكاملًا فهو غير كاف ، إذ من الضروري اتخاذ الإجراءات لضمان الحماية في المستقبل ، ولهذه الغاية يجب إنشاء مراكز في الموقع نفسه تملك القوة و التسهيلات الإدارية اللازمة لمنع تكرار التداعي و ضمان الرقابة المطلوبة¹⁴ ، العمارة التراثية بالجنوب تستدعي تحيين اليات و ميكانيزمات تدخل لإنقاذ تراث مهدد بالاقبار ، من أولى الأوليات يجب الاعتماد على الحفاظ العمراني و إعادة التأهيل كبداية لا مناص منها و كمخارج مفصلة لتجاوز الاكراهات الحالية و حتى لا نقع في ثقل التراكمات اللاحقة و بناء على ذلك نوصي ب :

- لا يمكن أن يتوقف العمل فقط على تفيد التدخلات و تضمينها هذه السمات دون أن يتم التوجه إلى التنمية المستدامة المجتمعية والتي تقوم على أساس المشاركة الشعبية و الحكامة التي تجعل من المشاركة شراكة فعلية على المستويين الأفقي و الراسي.
- تؤكد عملية التمكين المستدام على أهمية تحقيق عامل الاستدامة و ذلك من خلال تناول عملية التنمية من منظور شامل على أساس ان الاستدامة هي عملية توازن بين الجوانب العمرانية و الإدارية و الاجتماعية و الاقتصادية للتنمية. و ذلك بمعنى تمكين المجتمع من القيام بدور فعال في جميع مراحل عملية التنمية العمرانية بهدف إعداد بيئة عمرانية مناسبة له و للأجيال القادمة¹⁵ .
- التعجيل بالانتقال إلى التدخلات العملية على مستوى القصر و التي تعتمد على أساليب جد متقدمة و حققت النجاحة و الفاعلية على غرار التجارب التي تمت بالدول الغربية و العربية، لان عملية الحفاظ العمراني و التأهيل كفيلا بالاحياء العمراني و تجاوز التدهور العمراني.
- سن إجراءات ردية تجاه المخالفات العمرانية التي تقوم بها الساكنة و الرفع من حسها لتحويل إلى موارد بشرية مشاركة في العمراني التشاركي حتى إلأن يتم التحول بها من المشاركة إلى الشراكة الحقيقية.
- الارتقاء بالقصر من تراث وطني إلى عالمي كمشروع تتبناه اليونسكو لتتم الاستفادة من الخبرة و التمويل لان عمليات الإنقاذ ليست بالهينة سواء من وجهة التحكم الفني و التقني أو المالي.
- ادمج مختلف عمليات التدخل ضمن برامج التنمية المحلية و دعوة كل الفاعلين الى المساهمة في مشروع انقاذ العمارة التقليدية ، الى جانب التنسيق مع المنظمات و الجمعيات و المجتمع المدني في الداخل و الخارج .
- تفعيل دورة شرطة العمران و البيئة في حماية التراث ، و الرفع من مشاركة جمعيات المجتمع المدني لحماية القصر من الوجهة المعمارية اومن جانب المحافظة على الصناعات التقليدية و مختلف الحرف من الزوال .
- تأسيس صندوق خاص يأخذ بالقصرالى الواجهة التي يجب ان يكون عليها.

الخاتمة :

يدخل التغيير الاجتماعي ضمن الحتمية الحضارية التي تقطعها المجتمعات في مسار حياتها وفق مختلف الاسهامات التي تمت حسب الظروف المحيطة و طبيعة كل مرحلة و العوامل المؤثرة الخارجية ، التغييرات التي تحدث من طرف هذه الأجيال تشكل تراكمات لمختلف القناعات فلا يمكن قطع هذا الحراك لكن من الممكن تصويبه او انتقاء ما ينتج من خضم هذا التغيير الاجتماعي ، أثبتت الدراسة انه توجد علاقة وطيده بين الغير الاجتماعي و المخالفات العمرانية متميزة بالسلبية و التراجع من خلال عمليات الهدر للقيم التراثية المحلية ، بدايات التخلي عن الثقافات المحلية الاصلية التي عمقت من التكيف و الاندماج الاجتماعي للسكان ببيئاتهم .

التشخيص لهذه الحالة يستدعي تحيين استراتيجيات تدخل فاعلة لإنقاذ التراث العمراني للمدينة الصحراوية من التدهور و التشويه و إزالة كل التراكمات التي تسير الى ثقل الحدائة الهدامة في فترة العولمة و التي تستدعي التشبث اكثر بالقيم التراثية المادية و

¹⁴ - بودر يغو م. ف. دي أند رادي، الحفاظ على المواقع الحضرية، ترجمة الدكتور خالص الاشعب في صيانة التراث الحضاري

المنظمة العربية للثقافة و التربية و العلوم. إدارة الثقافة تونس. ص: 331. 1990

¹⁵ - ريمان محمد ربحان، 2002، تنمية المجتمعات الجديدة - التمكين كأداة فاعلة في عمليات التنمية الحضرية المستدامة، رسالة

دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة القاهرة. ص: 297

المعنوية، للمحافظة على هوية و شخصية المجتمعات المحلية مع الاستمرار في التفاعل لكن في حدود الإيجابية و التغير الاجتماعي الذي يضيف قيم مضافة للصيد و ليس العكس .